Journal Of the Iraqia University (75-3) February (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

تحولات الهجاء عند الشاعر دعبل الخزاعي

م. د. باسم محمد حمد جامعة

سامراء/كلية الآداب/قسم اللغة العربية

Dr .Bassem Muhammad

University of Samrra

Bassem.m.hamad.@uosamarra.edu.iq

المستخلص

تناول البحث حياة الشاعر دعبل الخزاعي ومدى تمكنه في غرض الهجاء وكيف أنّه كان يهجو كل من حوله سواء كان سياسي أم من سائر المجتمع الذي عاش فيه فلم يسلم منه أحد سواء من أحسن إليه أم لم يحسن فكان لسانه سليط بالألفاظ النابية على الناس مما أدى إلى إثارة الفتن من خلال بث اهاجيه التي تعبر عن مدى كرهه للسلطة الحاكمة والناس من حوله وقد يصل الأمر إلى حد القتل وهجائه هذا لم تمحه العصور إذ ظلّ أثره إلى عصرنا الحاضر.**الكلمات المفتاحية:** التحول، الهجاء، شعر دعبل الخزاعي، سياسي، اجتماعي، ديني.

Abstract

This research examines the life of the poet Du'bal al-Khuza'i, his mastery of satire, and how he satirized everyone around him, whether politicians or members of the wider society in which he lived. No one was spared, whether they treated him well or not. His sharp tongue was sharp, using foul language against people, which led to the incitement of strife through his satire, which expressed his hatred for the ruling authority and the people around him. This could even lead to murder. His satire has not been erased by the ages, as its impact remains to the present day.**Keywords:** Transformation, satire, Du'bal al-Khuza'i's poetry, political, social, religious.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء : ٢٢٤ - ٢٢٧]

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والصلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد وآله وصحبه الأبرار فالشعر ديوان العرب ولا زال أمينا على قيم الأمة وهو مرآة تعكس حياتها فعن طريقه نستطيع الاستدلال على التاريخ للأمم وارثها الثقافي وأعرافها الاجتماعية وتقدمها العلمي ، ولما كان الشعر من أهم عوامل تكوين الشخصية الأدبية، فقد اعتمد عليه الباحثون ؛ ليقفوا على عمق فكر الأمة في الماضي والحاضر وكذلك التنبؤ بما ستؤول اليه الحياة في المستقبل.فالخطاب الشعري هو نوع من التواصل الأدبي يحاول من خلاله الشاعر التعبير عن أفكاره و آرائه ومعتقداته ويصور الحالة الاجتماعية والسياسية والدينية في ذلك العصر الذي يعيش فيه ، إنّ اختار الشاعر دعبل الخزاعي وهو من شعراء العصر العباسي؛ لأنّه شهد أحداث تلك الفترة التي عاشها وكان يهجو أغلب الناس بما فيهم الحكام وكان لهجائه التأثير في أثارة الفتن في صفوف المجتمع وتهدد السلم المجتمعي والكراهة بين الناس وتحضّ على التفرقة فقد هجا كل من حوله حتى الأموات لم يسلموا من لسانه، بل أنّه قد هجا حتى الذي أحسن اليه، وكان سبب اختار الموضوع هو الاطلاع على حياة الشاعر، و التعرف على هجائه للسلطة الحاكمة، والناس من حولة، وكيف تحوّل هذا الهجاء من هجاء عادي إلى هجاء ساخر فيه نوع من التطرف ضد السلطة الحاكمة، وامكانيته في هذا الغرض الشعري الذي اشتهر به، وقد جاء البحث مقسما إلى نبذة عن حياة الشاعر، والتعريف بمعنى التحول لغة واصطلاحا، وتعريف الهجاء، والتحول في اتجاهات الهجاء الاجتماعي، والسياسي، والديني، ثم الخاتمة.(تحولات الهجاء في شعر دعبل الخزاعي)نبذة عن حياة الشاعر دعبل الخزاعي:هو دعبل بن علي بن زين من خزاعة ، ويكنّى أبا علي(ابن قتيبة ج ١ ص٨٤٩) ، واختلفوا في اسمه هل هو محمد أو الحسن أو عبد الرحمن ، وهو من خزاعة

فقد كان أبوه شاعرا متوسطا وكذلك عمه محمد بن عبدالله المشهور بإسم أبي الشيص الخزاعي (ضيف ٢٠٠٤م، ص٣١٧)ولد الشاعر سنة ١٤٨هـ و توفي ٢٤٦ هـ في الكوفة كان في شبابه يصحب الشطار ويشترك في مغامراتهم ، مما يؤكد أنّه كان فيه نزعة متأصلة إلى الشر و ارتكاب الجنايات ، وقد دفعته فيما بعد إلى أنّ يصبح أكبر هجّاء في عصره، وأن يعم هجاؤه الخلفاء وكل من قدّموا له صنيعا، ويظهر أنّ مواهبه الشعرية تفتحت مبكراً فقد عاش في بيت علم وأدب وقد اختلط بالشعراء في ذلك العصر، وهو من أكبر الشعراء في ذلك العصر الذي عُرف بالثبات والاستقرار السياسي لكنّه كثرت فيه المذاهب من الناحية الفكرية والعقدية وشبّ على الاحساس بالظلم والاضطهاد وقد استعمل أشعاره الساخرة في هجاء الخلفاء العباسيين ووزرائهم وقادتهم واستطاع أن يصّور الحكم وتبين أنّه لم يقصد من هجائه الاضحاك والهزل، بل كانت سخريته ذات أهداف سياسية واجتماعيّة (جمال طالبي ،ص ١) .

أولا :التحوّل لغةً: التحوّل في اللغة العربية مأخوذ من الجذر (ح و ل) ، ويعني الانتقال من حالٍ إلى حال، أو من مكانٍ إلى مكان.

قال ابن منظور في(لسان العرب): التحوّل التنقّل من موضع إلى موضع، والاسم الحَول ، ومنه قوله تعالى (خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً) (منظور ج١١، ص١٨٣) .

ثانياً: تعريف التحوّل اصطلاحاً:

اصطلاحا يختلف معنى التحوّل حسب السياق الذي يستخدمه فيه ، وفيما يلي أمثلة لأبرز المعاني معجم مقاييس اللغة لابن فارس الجزء الثاني الصفحة :٣١٤ النص: في مادة (حول)، يذكر ابن فارس أن الأصل يدل على القلب والتحرك ، ومنه الحَول لتحوّله في الزمان ، والحِوَل تغيّر الشيء عن هيئته(ابن فارس ج٢، ص٣١٤)تاج العروس للزبيدي ، الجزء الثامن عشر، الصفحة: ٣٠٠النص: التحوّل هو الانتقال والتغيّر ، يقال تحوّل فلان عن حاله، إذا انتقل إلى غيرها (الزبيدي ج٨،ص ٣٠٠)وفي معجم المعاني الجامع ، الصفحة :غير محددة (متاح عبر الانترنيت) النص: تحوّل الشيء: تغيّر وتحوّل، كما في قولهم " حال الشيء : تغيّر وتحوّل"فالتحول: هو أن يسلك الانسان طريقا في القول أو العمل كما كان عليه وهذا التغيّر يكون على وفق المتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية ولا يحمل صفة النفاق أو التلون إنما ناتج عن قناعات الشخص أو مسيرة حياته.**الهجاء في اللغة:**هجا هجواً ، وهجاءً ، أي شتمه بالشعر وتقول هاجيته وهجوته ، وهو خلاف المدح ، والمرأة تهجو زوجها أي تذم صحبته(منظور ، مادة، هـ ج و)**الهجاء في الاصطلاح**الهجاء هو وصف الشخص أو القبيلة أو الحزب بما يتنافى مع العدل والمروءة ، وقد كان الهجاء غرضا من أغراض الشعر العربي، وكان عرب الجاهلية يتطيّرون منه ويتشاءمون ، لذلك كانوا يتحاشون هجاء الشعراء بشتى الوسائل كي لا يصيبهم ما صبّه الشعراء عليه من مثالب ولعنات(وهبة، ١٩٨٤م،ج١،ص١٤٠) والهجاء عند العرب هو فن غنائي يصوّر عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء ، اقترن بأناشيدهم الدينية الأولى التي كانوا يتهجون بها إلى الآلهة (يوسف،٢٠١١م، ط١) وهو فن يلجأ اليه الشاعر إذ يهاجم فرداً أ جماعة ، فالهجاء فن الكره والبغض والاحتقار إذ يصب فيه الشاعر جميع ما يراه من معايب على من يهجوه، وهو نزعة في الانسان ما دامت عاطفته تتراوح بين الرضا والارتياح فيمدح، والغضب والاستياء فيهجو، ويركز الهاجي على الصفات المذمومة والألفاظ التي تهز كيان الخصم ، فتجعله شخصا ذليلا بين أفراد المجتمع وهو أقوى من ذلك(عبد الرحمن عبد الحميد، ص٢٤٦)والهجاء فن أدبي قديم منذ عصر الجاهلية ، وكان أول الأمر يدور حول التعيير بوضاعة النسب والبخل ، والفقر ، والقعود عن الغزو ، والتقصير في حماية الجار ، والعجز عن أخذ الثأر ، والانهزام في الحرب ، والاستسلام للأعداء ، واستساغة الظلم (محمد حسين،١٩٤٨م، ص٨٢) إلا أنّه فتر بعد مجيء الاسلام ذلك ؛ لأنّ الاسلام قبّح هذا الفن وعدّه إثما ولكنّه نما في بداية العصر الأموي و أخذ يتناول المثالب واحترفه الشعراء وبدأت القبائل تحشد وتتجمّع في سوق المربد ويستمعون للشعراء وهم ينشدون الهجاء وكأنّهم وجدوا في ذلك تسلية ولهوا (ضيف ج١، ص١٧٨) ، وأخذ يتطور في العصر العباسي وتنوعت موضوعاته واختلفت اتجاهاته فمنه يدفعه الحقد ومنه الغضب والحسد و الانتقام يعد من الأغراض المهمة في الشعر العربي عبر التاريخ فألفيناه منذ الجاهلية غرضا مستقلاً متميزا في دوافعه وعواطفه وميادينه ومبرراته وألفينا شعراء وهم يسددون سهامه نحو الخاصة والعامة والسادة والسوق ، يقضون مآربهم به ويشتفون من خصومهم من خلاله، بحق أو بغير حق ، بإنصاف أو بإجحاف ، فكان الهجاء هو السلاح الرهيب الذي يستعمله الشعراء ضد الأعداء وخصومهم لاسيما من غير الشعراء، وأنّ الشاعر كان يصبه على العدو صبا وينال من أعراضهم و مروءتهم(ابراهيم طه،ص١٥)

٢.اتجاهات الهجاء :الهجاء الاجتماعي الهجاء الاجتماعي غرض من أغراض الشعر العربي المتوارث ، ولم يكن الغرض من شعر الهجاء اظهار السخط وابراز صورة القبح والمثالب وحسب ، بل كان من أهدافه الاصلاح والتقويم المجتمعي، ويبدو أنّ الاحساس بالانحراف في السلوك والعادات والاحساس بالحيف والعادات ومشاعر السخط تجاهها تتزاحم في نفس الشاعر وتتفاعل وتظهر على شكل هجاء، وفيه استنكار وتوضيح للوجه السلبي للمهجو، إنّ الهجاء في العصر العباسي اتجه لنقد بعض صور المجون واللهو والتحلل الخلقي والعادات والأخلاق الذميمة ، واختلال المعايير

الاجتماعية لذا يمكننا القول أنّ شعر الهجاء الاجتماعي يوضح لنا حقيقة جانب من تجارب الشعراء في ذلك العصر ، إذ تظهر فيه بشكل واضح مشاعر السخط على الاوضاع الاجتماعية (الحارثي، السعودية،ص٢٥) ، إنّ شعر الهجاء الاجتماعي يصّور المعاناة التي يعاني منها أفراد المجتمع وطوائفه ، والحيف الواقع عليهم من حكام ، كما أنّه يصور الانحراف في السلوك لبعض الاشخاص في المجتمع وهو هنا يعطي صورة للفكر العربي الناقد فمن خلاله يمكن أنّ نتعرف على هموم المجتمع، وقد نشط في هذ العصر وتعددت صوره وهذا أمر طبيعي ؛ لأنّ العصر العباسي شهد تمايز طبقي و اضطراب سياسي وانقسام قومي وديني ولذلك على الرغم من التطور والحياة الحياة الحضرية بقي الهجاء الاجتماعي متداولا بين الشعراء وتكمن خطورته؛ لأنّ يسلب القيم والمثُل الاجتماعية الفاضلة ؛ لأنّه يقوم على تجريد المهجو من الفضائل والمحامد(ناظم رشيد،ص٢٠٢ ويمكن أن تحدث بسببه انقسامات وتشتت وصراعات تدم لسنين كما فعل الشاعر دعبل الخزاعي مع أبو سعد المخزومي فمن شدة هجاء دعبل الخزاعي لسعد اضطرت قبيلته إلى نفي أبا سعد المخزومي(الأصفهاني، ص ١٩٧) ، ويروي أبو فرج الأصفهاني أنّ سبب هجاء دعبل الخزاعي لقبائل نزار نزوله عند بني مخزوم ولم يضيفوه فهجاهم فأجابه أبو سعد فهاجم دعبل ولج الهجاء بينهما (الاصفهاني ص١٨٦.١٨١) ، وقد صرّح بذلك دعبل الخزاعي حين قال : مررت أنا ورزين العروضي وبني مخزوم فلم يقرونا ولم يحسنوا ضيافتنا فقلت فيهم (الاشتر ١٩٨٣م، ص١٣٤)

عصابةٌ من بني مخزوم بتُ بهم بحيث لا تطمع المسحاة في الطينِ

وكان هجاء دعبل ينتشر بين الناس ويحظى بشعبية؛ لأنّ لديه شعر قريب من القلب سهل الحفظ واستعمل الفاظا متداولة و أوزانا قصيرة مجزوءة والذي يقرأ ديوانه يلاحظ هذا الشيء، إنّ شعر الهجاء الاجتماعي يتميز بالصدق وهو مرتبط بظواهر اجتماعية يبين موقف المجتمع منها واستنكاره لهذه العادات ، وهنا يكمن الفرق في الدوافع بين شعر الهجاء الاجتماعي وغيره من الوان الشعر فهو يميل إلى المواجهة الحقيقية بين الظواهر الاجتماعية السيئة وبين المجتمع ، فشاعر الهجاء الاجتماعي يجسّد ما يعانيه مجتمعه من قهر وظلم وضع يده في مكان الداء ومصدره حتى ينبه إلى خطورة ذلك الداء(ضيف الله الحارثي ص٢٧). فنجد الشاعر دعبل الخزاعي يقول في أهل حمص: (الاشتر ١٩٨٣م، ص١٨٥)

إذا نزل الغريبُ بأرضِ حمصٍ رأيت عليه عِزّ الإمتناعِ
سُموّ المكرماتِ بآل عيسى أحلّهم على شَرَفِ التّلاعِ
هناك الخزّ يلبسه المُغالي وعيسى منهمُ سقطُ المتاعِ
فسدّد لا ستِ (اشعث) أير بغلٍ وآخر في حرامّ أبي الصنّاعِ
فليس بصانعٍ مجداً ولكن أضاعَ المجد فهو أبو الضيّاع

فالشاعر لم يسلم منه أحدا فهو هنا يهجو القوم ويتهمهم بأنّهم لم يصنعوا مجدا بل حتى المجد الذي كان لديهم قد أضاعوه .

وقال يهجو أهل (قمّ): (الاشتر ١٩٨٣م ص٢١٤)

تلاشى أهلُ قُمَّ فاضمحلوّا تحُلُّ المُخزياتُ بحيثُ حلوّا
وكانوا شيّدوا في الفقر مجدا فلمّا جاءت الأموالُ ملوّا

في هذا النص يهجو الشاعر أهل (قمّ) ويصفهم بأنّهم يندثرون و أنّ قوتهم انهارت حتى أنّ الأمور المخزية تلحقهم أين ما يكونوا وأنهم يعانون من العار و الاهانة والفقر حتى أنّهم شيدوا في الفقر مجدا وأنّهم حينما أصبحت لديهم الأموال أصابهم الملل لأنّهم اعتادوا على الفقر والحاجة .

وقال دعبل: (الاشتر ١٩٨٣م ص٤٩)

ما كنتُ أحسبُ أنّ الدهر يمهلني حتى أرى أحداً يجوه لا أحدُ
إنّي لأعجبُ ممن في حقيبته من المنيّ بحورٌ كيف لا يلدُ
فإن سمعت له نعت القناة عبثاً فقد أراد قناً ليست له عُقَدُ

نلحظ تحول هجاء الشاعر دعبل الخزاعي من الهجاء العادي إلى هجاء يجردهم من أهم الصفات الاجتماعية التي يعتز بها العربي لأنّه يعلم إنّ تجريده هذا يعبر عن مدى تحول هجاءه الذي فيه حقد دفين لهم إذ يصفهم بأنهم ذكورا لكنهم ليسوا برجال فهم عقماء لا ينجبون ، حتى و إن تكلموا عن أدوات القتال فهم ليس لهم علم بالحرب وإنما أرادوا بها للعب ليس أكثر.

وقال الشاعر دعبل الخزاعي في جاره: (الاشتر ١٩٨٣م ص٧٨)

أرى منّا قريبا بيت زورٍ وزورٌ لا يزورُ ولا يُزاروا
ولا يُهدي ولا يُهدى إليهِ وليس كذاك في العرب الجوارُ

في هذا النص يتعرض الشاعر لجاره ويلصق به أبشع الصفات فهو لا يزور ولا يزار ولا يهدي ولا يهدى، وهنا أراد ذم البخل الذي يأنف منه العربي ويعده مثلبة.**الهجاء السياسي:**إنّ الهجاء السياسي في الشعر العربي جذوره ممتدة من العصر الجاهلي حين كانت القبيلة تحتفي بنبوغ شاعر جديد يدافع عنها ضد القبائل الأخرى والقبيلة هي صورة مصغرة للدولة، وبعد بزوغ فجر الاسلام تغيرت الألفاظ المستخدمة بالهجاء ؛ لأن الاسلام حرم ذلك ، ثم تطور الشعر السياسي مع تطور الدولة الاسلامية و أصبح عبارة عن تراشق شرار قائم على أساس مذهبي ؛ بسبب تعد الاحزاب والفرق السياسية مثل الأمويون والعباسيون والخوارج وكان الأسلوب الغالب هو اسلوب الاحتجاج بأحقية الخلافة (الشايب ، ص٦_١٢) ، ومن هؤلاء الشعراء دعبل الخزاعي الذي استعمل الهجاء الساخر الذي يعد من أبرز ملامح التحول في الموقف الشعري عند العباسيين واستخدم هذا الاسلوب في جوانب متعددة ولاسيما في شعره السياسي وجاءت هذا التحول نتيجة للصراع الموجود بين عالمه الداخلي وبين قوة سياسية كان يرفضها ويقاوم إزاءها فنجد خطابه السياسي تحول إلى كراهة وحقد يؤثر بالقرارات ويؤجج للفتن، وأصبح الشاعر يعتمد على المقطوعات الشعرية ليضمن سرعة وصول هجاءه وانتشاره بين الناس(سراج الدين محمد،ص٤٧_٤٨)، نجد الشاعر دعبل الخزاعي في هجائه للخليفة هارون الرشيد يتحول إلى هجاء ساخر وذلك حينما شعر أنّ الخليفة يجمع الشعراء حوله لتأييد سلطته ونظريته الوراثية في الخلافة فيقول: (الاشتر ١٩٨٣م ص٢٥١)

وعاثت بني العباس في الدين عَيثَةً تحَكّم فيه ظالمٌ وظَنينُ
وسَمّوا رشيداً ليس فيهم لرُشدِهِ وهذاك مأمونٌ وذاك أمينُ
فما قُبلت بالرُشدِ مِنهُم رِعايةٌ ولا لوليّ بالأمانة دينُ
رشيدهم غاوٍ و لِهذا رزايا دون ذلك مجنونُ

فنجد الشاعر يصف الخليفة بعدم النضج وليس لديه أي بعد سياسي ليس هذا فحسب بل تعدّى في سخريّته إلى الوضع الذي آلت إليه الامور فيصف الخليفة بالضلال ومن بعده وأبناءه و أنّهم يخونون الدين وهم سبب تدهور الامور التي يحسّ بها الشاعر في البلاد وأنّ الشعب في حال ضياع وكيف يستطيع أنّ يشكو همّه وأنّ يبلغ مطلبه وهذا هو حاله خليفته وولي أمره ، فنجد الهجاء تحول من السخرية والاضحاك إلى الحقد الذي يحمله الشاعر تجاه الخليفة وهذا ديدنه في خطابه نحو الخلفاء لأنّ عقيدة الرجل تخالف عقيدة الخلفاء لذلك وظف خطابه الهجائي لخدمة فكرهو معتقده.**وقال الشاعر: (الاشتر ١٩٨٣م ص٢٤٤)**

نَعَرَ ابن شَكله بالعراقِ و أهلهِ فَهَفَا إليه كلُّ أطلس مائقِ
إن كان ابراهيمُ مضطلعاً بها فلتصلحَن مِن بعدهِ لمخارِقِ
ولتَصلُحَنْ من بعد ذلك لزلزلٍ ولتصلحن من بعده لمارقِ
أنى يكونُ وليس ذك بكائنٍ يَرثُ الخلافةَ فاسِقٌ عن فاسقِ

نجد التحول واضحا في هجاء الشاعر والهجوم على كل من بايع إبراهيم ، وقد اتهمهم بالبلادة والحماقة ، كما أنّه قد أنكر عليهم تسليم الخلافة لهؤلاء الرجال لأنهم فسّاق ، ونجد هجاءه يتحول إلى السخرية؛ لأنه يعتقد أنّ الخلافة إذا صحّت لإبراهيم، فولاية العهد سوف تكون لمخارق وتصلح فيما بعده لزلزل وهؤلاء هم من مغني ذلك العصر، فالذي يقرأ هذه النصوص الشعرية وكيف أن هجاء الشاعر تحول إلى حد السخرية من الحكام دون خوف يعرف أنّ الشاعر قد استمد جرأته من تشيّعه و كرهه لهذه الطبقة الحاكمة.**وقال الشاعر دعبل الخزاعي: (الاشتر ١٩٨٣م، ص١٦٨)**

الحمدُ للهِ لا صبرٌ ولا جلَدُ ولا عَزاءٌ إذا أهلُ البَلا رقدوا
خَليفَةٌ مات لم يحزن لهُ أحد وآخرُ قام لم يفرح بهِ أحَدُ
فَمرّ هذا والشؤم يتبعُهُ وقامَ هذا فقامَ الويلُ والنَكَدُ

حينما نقرأ هذا النص نجد تحولا نفسيا يفصح عن الاحساس المرير الذي يعيشه الشاعر وكأنّها ثورة ضد هذا النظام والذي يعاني منه على الاصعدة كافة وهو هنا يظهر مظاهر الاستخفاف للخلفاء فالأول مات ونجد الشاعر يحمد الله ويشكره على أنّه تخلص من واحد فلا صبرٌ ولا جلد ولا عزاء؛ لأنّه على حد قوله مضى وهو من أهل الشر والبلاء ، فهو لم يحزن عليه وكذلك لم يفرح على الذي أتى بعده ونجد أيضا استخفاف منه حين يقول خليفة وهنا دليل على استخفاف واستهزاء فهو لم يعرّف كلمة الخليفة وكأنّ الشاعر ينظر إلى مهزلة السلاطين فموتهم لا يتأثر له أحد وكذلك تنصيب الخليفة الجديد لم يفرح له أحد وكما أسلفنا سابقا أنّ خطابه ناتج عن كراهية نحو الخلفاء.**وقال الشاعر: (الاشتر ١٩٨٣م ص٢١٩)**

يا معشر الاجناس لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حُنينةً يلتذّها الأمردُ و الأشمطُ

و المعبديّاتُ لقوّادِكم لا تَدخُل الكيس ولا تُربَطُ
وهكذا يَرزُق أصـــحابهُ خَليفـــةٌ مُصحفُهُ البربطُ
قد ختم الـــصّكّ بأرزاقِكم وصحح العزم فلم تُغمطوا
بيعــةُ ابراهيــم مشؤومـةٌ تُقتَل فيـــها الخَلق أو تقحطُ

تعد هذه الأبيات من أبلغ ما ذكر الشاعر إذ تعبّر عن مدى بغض لهذه السلطة التي تعد برأيه غير شرعية فهي اغتصبت الحكم من آل علي رضي الله عنه، تناول الخليفة ابراهيم بما عُرف عنه حبه للغناء لذلك رسم الخليفة بأنه يصفه آلة موسيقية وليس شرع الله و أراد الانتقاص من مشروعية خلافته وصور الشاعر في هذا النص الجنود وهم يطالبون رواتبهم من ابراهيم قبل أن يتنازل عن الخلافة للمأمون ، وفي ذلك الوقت أصيبت الدولة بعجز مالي بحسب ما ذكرته المصادر التاريخية ، واجتمع الناس والجنود أمام القصر يطالبون برواتبهم وقد ظهر مندوب الخليفة فقال لهم ليس معه مال يدفعه لكم ، فبدأ الشاعر بنظم أبياته على أساس هذا المنظر معبرا عن مدا سخطه على السلطة فنجد الوصف يتحول إلى هجاء ساخر فيه انتقاص من هذا الحاكم ، فالشاعر أراد أن يقول إن الذين اجتمعوا قد رضوا بأن يغني لهم الخليفة بدلا من أن يدفع لهم راتب ، كذلك نجد الشاعر قد ركز على المفارقة البارزة فكيف أن الخليفة يتحول إلى مغني لكي يسدد رواتب الموظفين وهنا قمّة الاستخفاف والاستهزاء بالسلطة، والحط من مكانة الخليفة.**وقال في موت المعتصم: (الاشتر ١٩٨٣م ص٢٦٢)**

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا في شر قبرٍ لشر مدفونِ
اذهب إلى النار والعذاب فما خِلتُك إلا من الشياطينِ
ما زالت حتى عقّدت بيعة من أضّر بالمسلمين والدينِ

وهنا نجد الشاعر قد وجه خطابه نحو الخليفة المعتصم ويصفه بأحد الشياطين ومأواه النار وهي دلالة أخرى على سلب أحقيته بالخلافة و أنّه لا يصلح لولاة أمر المسلمين، وهو تجاوز على كل الأعراف والقيم التي عرفت في المجتمع فلم يسلم من هجائه حتى الأموات بل تعدا ذلك فقرر مصير الخليفة إلى النار.**الهجاء الديني**إنّ الهجاء في العصر العباسي اختلف على ما كان عليه في العصرين الماضيين (الجاهلي والأموي) لاختلاف البيئة والحضارة ؛ لأن ضعفت العصبية القبلية في هذا العصر وحلّت مكانها الفكرية، كذلك انتقل النزاع القبلي الى فكري بين العربي والشعوبي بين العقل والنقل كما أنّ الصراع السياسي الذي ساعد في العهد الأموي كان منطلقا للتهاجي والمفاخرة ، والصراع الفكري منطلق الصراع الشعري، وهكذا يكون الهجاء قد اصطبغ صبغة الأصل والعقيدة والنزعة الاجتماعية، كما اتسع نطاق التهاجي والخصومات لأنّ الشعراء في ذلك الوقت لا تهمهم قيمهم بقدر ما يهمهم فنهم الشعري فأصبحوا يفصّلون المخازي بحيث يستطيع الشاعر أنّ يتفوق على خصمه في نظر الجماهير(المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥م،ص٢٥٤)، وكان دعبل الخزاعي يكره فئة من المسلمين فحين يمدح آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يسيء للصحابة (رضي الله عنهم) ويعبر عن كرهه وينشره بين الناس ولديه اسلوب مكر ودهاء فيقوم برثاء أهل البيت ليكسب تعاطف الناس ويجذب انتباههم لأنّه يعرف مكانتهم عند الناس ثم يذهب لهجاء الخلفاء فحينها يكون هذا الهجاء وقعه أكثر أثرا في النفوس وهو نوع من التحول في الشعر إذ أنّه يمدح من جهة ويهجو من جهة أخرى فكان يريد أن يبث كراهيته الى الناس لكي يضمهم إلى صفه ولعل هذا النوع من الخطابات الدينية هو احد الأسباب المباشرة في تدهور الأوضاع وانتشار الفوضى الدينية في ذلك العصر فهذه الخطابات تأجج النفوس وتبث الحقد تجاه الآخر فنراه منتقدا ومشككا بخلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل (رضي الله عنهم) ونجد هذا في قوله: (الاشتر ١٩٨٣، ص٢٥١)

وغدا سليلُ أبي قُحافة سيّدا لهم ولم يكُ ذلك سيّدا
يا للرجال لأُمةٍ ملعونةٍ سادت على السادات فيها الأعبُدُ
أضحى بها الأقصى البعيد مقرّبا و الأقرب الأدنى يذاد ويبعد
هذا تقدّمه غداة براءةٍ إذ ردّ وهو بفرط غيظٍ يكمدُ
ويقول معتذرا أقيلوني وفي إدراكها قد كان قدماً يمهدُ
أيكون منها المستقيل وقد غدا في آخرٍ يوصي بها ويؤكّدُ؟
ثمّ اقتفى نهج الضلالة بعده فظٌ غليظ القلب وغدٌ انكدُ
فقضى بها خَشناً يُغلظُ كِلمةً ذلّ الوليّ بها وعزّ المفسدُ

حينما يعتمد الشاعر في نصوصه الشعرية إلى التشكيك في ايمان الصحابة رضي الله عنهم فهنا نجد أنّ الهجاء يتحول من هجاء عادي إلى هجاء ذا طابع طائفي ، فهو بهذه الخطابات يبث روح الفتنة بين صفوف المسلمين كذلك نجد التناقض في خطاباته فهو يمدح آل البيت ويهجو الصحابة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم (كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر ابن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان) (، عبدالله بن محمد البخاري: ٤/٥) وَمِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَاصَّةِ: كَوْنُهُ خَتَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنَتَيْهِ.وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١)،، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا [فِي بَيْتِهِ]، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، [ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهَشَّ وَلَمْ تُبَالِهِ]، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ؟ فَقَالَ: أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ». (: أحمد شاكر ط١/ج٤٩٢/١). (الاشتر ١٩٨٣م ص٧)

ديار علي والحسين وجعفرٍ وحمزة والسجاد ذي الثفينات

هنا يذكر الشاعر الرموز التي يقدسها ويؤمن بها ويرى أنّهم أحق الناس بالخلافة لكنها سلبت منهم لمن لم يستحقها وهم بني أميه فيذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويذكر ابنه الحسن بن علي و أما جعفر ففيه قولان إما جعفر بن محمد الصادق أو جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار الذي بترت يداه ،وحمزة بن عبد المطلب والسجاد وهو ابن الحسين بن علي والمعروف عندهم بذي الثفينات أي الرجل الذي خشنت لديه مواضع السجود، فعنده هؤلاء هم من يستحق الخلافة لكنها سلبت منهم بغير حق.وقال: (الاشتر ١٩٨٣م ص٧٠)

ديار عفاها جورُ كُلُ مُنابذٍ ولم تعفُ للأيام والسنواتِ

قِفا نسأل الدار التي خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلواتِ

وأين الألى شطت بِهم غربة النوى أفانين في الأفاق مُفترقاتِ

ثم يكرر الشاعر ذكر الديار إلا أنّ هذه الديار يسكنها المنافقون الذين يظهرون الايمان ويبطن الكفر وكان ايمانهم طمعا بالمغانم وخوفا من المسلمين فنجد هنا كيف كن الشاعر يهجو ممن هم على غير طائفته ويعدهم من المنافقين .كان الشاعر دعبل الخزاعي يستخدم الهجاء الديني ويحوله إلى هجاء ساخر؛ ليبث الكراهية بين صفوف المجتمع والسلطة الحاكمة فنجده حينما يهجو علي بن موسى الأشعري يدخل الخلفاء بالموضوع مع أنّ أبا موسى الأشعري كان في قُم يتولى اعمالاً للمأمون(قحطان رشيد ص٢٠٩) ، إذ يقول: (الاشتر ١٩٨٣م ص٢٠٨)

كنت من أرفض خلق الله إذ كنت صبياً

فتواليت أبا بكر و أرجأت الوليا

وتجنبت علياً إذ تسميت علياً

إنّ الذي يقرأ نصوص الشاعر دعبل الخزاعي يجد فيها من الخطابات الكارهة والمُكرهة، ويتبن له أنّ هذا الشاعر يقول هذه الخطابات بقصد التأجيج للخلافات الدينية والتهكم الذي يتحول إلى استفزاز الجهة التي تخالفه فيرد عليه المخالف وهنا يتحقق له ما يريد ومع الاستمرار بهذا الأمر تزداد شهرته وتكسبه، لا سيما أنّ الشاعر كان يعيش متصعلكاً وليس لديه عمل يعيش منه غير أنّه يقول الشعر وقد اشتهر في العصر العباسي فيه ركنان أساسيان هما المدح والهجاء لكن لسان حال الشاعر دعبل الخزاعي لا يعرف غير التجنّي والقذف كما لا يعرف قلبه سوى الكره الاعمى والحقد ، وهنا نجد أنّ قول أبي العلاء المعرّي فيه نوع من الصحة عندما قال " إنّ دِعبل الخزاعي لم يكن صادقاً في تشيعه وإنما يريد التكسب به" (المعري ص١٨٤)

الخاتمة

في ختام هذا البحث أرجو من الله تعالى أنّي تمكنت من تسليط الضوء على الجوانب الأساسية المتعلقة بموضوع التحول في هجاء شعر دعبل الخزاعي، فبعد التعرف بالتحول لغة واصطلاحا استطعنا استخلاص مفهوم التحول في الخطاب الشعري و ما غاية هذا الخطاب واسبابه والوصول إلى نتائج منها :

١- إنّ الزمن الذي عاش به الشاعر دعبل الخزاعي كان له الأثر الكبير في شعره كون الشاعر ينتمي إلى الأمامية ساعده ذلك على الاحتماء بآل البيت فأصبح متحصنا يرمي بسهامه من يشاء .

٢- إنّ الحياة التي عاشها الشاعر ومنها حياة التصعلك قد أثر على نفسية الشاعر وكأنّها فصلته عن العالم وكره الناس لذا كان يهجو أغلب الناس دون التقييد بعرف أو دين .

٣- إنّ هجاء الشاعر للناس وخصوصا للخلفاء الراشدين كان يعبر عن مدا حقده وسخطه على هذه الفئة والتنكيل بهم والانتقاص من قدراتهم واعتبارهم أخذوا السلطة وهي ليست من حقهم .

٤- ركز الشاعر في هجائه لخلفاء بني العباس ووزرائهم وقضاتهم وقادتهم وكتابهم كان هو الدافع الأساس لهذا التحول في الهجاء.

٥- كان الشاعر يركز في خطاباته على موضوع التشكيك بالمذهب والعرض والنسب والقذف والقذع .

٦- عند ما يهجو الخلفاء كان يجردهم من الافعال الحميدة مثل الكرم والشجاعة والمروءة ، بل وصل به الأمر إلى أنّ شبه الخليفة بالكلب.

٧- يبدو أنّ الشاعر سلك طريق خالف تعرف إذ كان الشعراء في عصره اقوياء في غرض المدح وهو المشهور في ذلك الوقت ومنهم أبو تمام وغيره ممن خلدهم التاريخ.إنّ غرض الهجاء كان يسري في دم الشاعر فلم يسلم منه أحد فالذي أكرمه

المصادر:

١- ا لشعر والشعراء ، ابن قتيبة تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، ج١ دار المعارف مصر .

٢- تاريخ الادب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة مصر ،ط١٠، ٢٠٠٤،

٣- السخرية السياسية في شعر دعبل الخزاعي ، جمال طالبي .

٤- لسان العرب ابن منظور ،دار المعارف، ج١١، ٢٠١٦،١٨٩م.

٥- معجم مقاييس اللغة، احمد ابن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ج٢ ، ٣١٤

٦- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الارشاد الكويت ،ج ٨، ٣٠٠.

٧- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، و كامل المهندس ، مكتبة لبنان ط٢ ١٩٨٤ ج١/١٤٠.

٨- الادب الجاهلي، سامي يوسف ابو زيد، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ط١، ٢٠١١.

٩- تاريخ الادب في العصر الجاهلي ، عبد الرحمن عبد الحميد، دار الكتب الحديث: .

١٠- الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية، محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز،

١١- التطور والتجديد في الشعر الاموي، شقي ضيف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٢- تاريخ النقد الأدبي من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط د، ت .

١٣- شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي، ضيف الله سعد حامد الحارثي ، المملكة العربية السعودية .

١٤- الأدب العربي في العصر العباسي : ناظم رشيد ٢٠٢.

١٥- الأغاني ، أبي فرج الأصفهاني ، دار الفكر بيروت ، ط الثانية ، تحقيق سمير جابر،١٧٩/٢٠

١٦- ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق محمد الأميوني، مطبعة الآداب، ٢٠١٦.

١٧- شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي، ضيف الله سعد حامد الحارثي ، المملكة العربية السعودية .

١٨- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي.

١٩- تاريخ الشعر السياسي ، احمد الشايب٦-١٢

٢٠- الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ٤٧-٤٨.

٢١- مدخل الى سوسيولوجيا الأدب العربي ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، المغرب ،ط٢٠٠٥.

٢٢- صحيح البخاري ، عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري: تحقيق جماعة من العلماء، مطبعة بولاق، مصر ٤/٥.

٢٣- **شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي**، بالمال لم يفلت من لسانه والذي أضافه في بيته لم ينج منه ولا الذي سن له راتب .

٢٤- رسالة الغفران ،احمد بن عبدالله بن محمد بن سليمان أبو العلاء المعري التنوخي، مطبعة أمين هندية ، مصر.